أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فاللبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع).

هذا الكلام ليس سوى رقية سحرية لتحصين مملكة الرجل اللغوية ودفع المرأة عنها لكي تظل الكتابة احتكاراً ذكورياً، وهي للرجل زينة تجمله وترفع من قدره مثلما أنها حق طبيعي، أما الكتابة للمرأة فإنها مثل السيف بيد المجنون والخمرة بيد السكير. إن المرأة والكتابة ثنائي خطر ولا بد للرجل أن يحترس من هذا الشر المحتمل وذلك بمنع المرأة من تعلم الكتابة.

هذه وصية ابن أبي الثناء ومن قبله كان الجاحظ[2] يفرق بين مصطلحي (كتابة) و(مكاتبة). فالكتابة للرجل وهي شرف وحق، والمكاتبة للمرأة وهي خطر لأنها وسيلة جنسية تفتح علاقات العشق والرفث.

هذه بعض أسلحة الرجل لتحصين قلعته، واستبعاد المرأة عن اللغة. وقد أحست المرأة بهذه المؤامرة التاريخية واستسلمت لها ورضيت بقانونها الاستعماري السلطوي. غير أن استسلام المرأة لهذا القانون لم يمنعها من أن تحلم بيوم ـ أو ليلة ـ تقتحم فيها مملكة الرجل اللغوية، وجاءت شهرزاد بألف ليلة وليلة من الكر والفر مع اللعبة اللغوية ضد الرجل ومعه وربما من أجله.

كما حلمت المرأة بمدينتها الخاصة (مدينة كبيرة واسعة الرقعة في جزيرة في بحر المغرب، قال الطرطوشي: أهلها نساء لا حكم للرجال عليهن، يركبن الخيول ويباشرن الحرب بأنفسهن، ولهن بأس شديد عند اللقاء. ولهن مماليك يختلف كل مملوك بالليل إلى سيدته. ويكون معها طول ليلته، ويقوم بالسحر ويخرج مستتراً عند انبلاج الفجر، فإذا

(2) الجاحظ: رسائل 2/144.